المخزن
المفهوم، التمثلات، التصورات

عبد المجيد أيت القائد

باحث ماجستير في التاريخ المغاربي المقارن
كلية الآداب – القنيطرة
جامعة ابن طفيل – المملكة المغربية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

عبد المجيد أيت القائد، المخزن: المفهوم، التمثلات، التصورات.- دورية كان التاريخية.- العدد السادس والعشرون؛ ديسمبر ٢٠١٤. ص ٥١ – ٥٩.

www.kanhistorique.org

كان التاريخية: رقمية الموطن .. عربية الهوية .. عالمية الأداء

مُلَخّص

يعتبر موضوع الدولة المغربية أو ما اصطلح على تسميته بـ "المخزن"، من المواضيع التي أصبحت تستهوي العديد من التخصصات العلمية، كما أنه أصبح من القضايا الراهنة والمستأثرة على حيز هام من اهتمام الباحثين، سواء المتخصصين منهم في الدراسات التاريخية، أو غيرهم من المختصين في باقي العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى، بل أصبح الموضوع متداولاً حتى في الخطاب الصحفي. وتماشيًا مع التوجهات الراهنة في البحث التاريخي، يهدف هذا المقال إلى تتبع مسار مفهوم المخزن من الأصول إلى القرن التاسع عشر، كما يهدف إلى الكشف عن تمثلات هذا المفهوم عند النخبة التأريخية التي عاشت قبل قرنين من الآن أي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، من خلال نموذج مؤلف كتاب الإستقصا. تتناول هذه الدراسة موضوع مفهوم المخزن والتصورات التي حملها هذا المفهوم في خطاب مؤلف كتاب الاستقصا، عبر مبحثين؛ الأول يتتبع مفهوم المخزن نشأته وتطوره، وإشكالية مماثلته بمفهوم الدولة، ثم التغيرات والتحولات التي طالته عبر الزمن. ويسعى المبحث الثاني إلى الوقوف عند التمثلات والتصورات التي حملها المفهوم، في خطاب الناصري، باعتباره موظفًا مخزنيًا عايش أبرز الأحداث التي عرفها المغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فهو يجسد المخزن بكل دلالاته في شخص السلطان، ويصور الصراع حول السلطة كمعضلة رافقت الدولة المخزنية منذ نشوئها.

مُقَدِّمَة

يستمد هذا الموضوع راهنيته، من كونه لا يزال حاضرًا وبقوة في الساحة الثقافية والفكرية، إذ "أضحى موضوع المخزن خلال السنوات الأخيرة يشكل مادة دسمة، ليس فقط للكتابات الأكاديمية ولكن حتى للخطاب الصحفي بالمغرب"،[١] كما أن الحراك السياسي الدائر في المغرب حاليًا، يدور حول ضرورة تحقيق الديمقراطية وتغيير النمط المخزني للسلطة، الذي يجد فيه البعض جميع مقومات السلطة المهيمنة غير الديمقراطية، ويتحجج أصحاب هذا الطرح بالقول إن المغرب، يبدو على غرار الدول الحديثة يتوفر على جميع العناصر التي من شأنها تحقيق الديمقراطية، "غير أن الحقيقة السياسية بعيدة عن هذا الواقع، إذ لا وجود حقيقي وراء هذه الواجهة الديمقراطية، سوى لمنشأة واحدة ووحيدة؛ هي منشأة المخزن".[٢]

وإذا كان بناء نظرة واضحة عن ماضي مؤسسة المخزن، يمكن أن يسهم في فهم سياسات الجهاز المخزني و"تشخيص آليات استمراريته وتغيره في آن واحد"،[٣] على اعتبار "أن أية سياسات ترتكز على تصورات الماضي"،[٣] فإن الكشف عن تمثلات مفهوم المخزن عند النخبة التأريخية، التي عاشت قبل قرنين من الآن وبالضبط في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، يُعَدّ أمرًا بالغ الأهمية. وبقدر ما يكتسي موضوع المخزن من الصعوبة والتعقيد،

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

يمكن القول كذلك إنه موضوع أسيل فيه الكثير من المداد، بيد أن أغلب الدراسات التي تناولت الموضوع عالجته وفق منهجية يحكمها التخصص وركزت على جوانب مختلفة مست المخزن من زوايا متباينة،[٤] ومن هنا يمكن التأكيد على أن جل الدراسات التي تناولت الموضوع، والكثير من الأبحاث التي أنجزت حوله لا تكاد تخلو من ثغرات، وذلك لكون معظمها اهتمت إما بجانب من جوانب هذا المفهوم المركب، أو أنها اختزلت دلالاته المتعددة في وظيفة من وظائفه، ومن هذا المنظور، يعتبر التعامل الشمولي والمنظم مع مختلف هذه الدراسات أمرًا ملحًا، على اعتبار عنصر التكامل والتقاطع اللذين يمكن ملاحظتهما بينها. فما هي أهم منطلقات هذه الدراسات؟ وكيف عالجت موضوع المخزن؟

على المستوى الأول، يمكننا التمييز بين ما يمكن أن نسميه بالكتابات الكولونيالية، والتي حاولت "فهم الميكانيزمات المحركة لجهاز المخزن" عبر "تفكيك مكونات الذاكرة المغربية"، فركزت اهتماماتها على "الزاوية والقبيلة والعلماء والسلطة السلطانية"،[٥] ومن أبرز رواد المدرسة الكولونيالية؛ ميشو بيلير (Bilaire Michaux) وروبير مونطاني (Robert Montagne)، اللذين انطلقا من فكرة اعتبار المخزن مجرد جهاز طفيلي جاثم على رقاب القبائل، يسلبها خيراتها عن طريق فرض الضرائب التي كانت المبرر الوحيد لوجوده،[٦] وأن المجال السياسي المغربي ينقسم إلى خطين منفصلين؛ "(خط القبيلة) وتسوده سلطة الزاوية، و(خط الدولة) وتسوده سلطة المخزن، ويصر الكولونياليون على أن هناك حدودًا قارة وثابتة تفصل بين الخطين، مما يكرس وضع "الانفصال" و"القطيعة" بين مجالي القبيلة والدولة".[٧]

وفي المقابل، سخر الطرح الوطني حيزًا هامًا من جهوده، لتفنيد الأطروحات الكولونيالية، التي كان يحكمها منطق تحاملي على المغرب، فأعادت تلك الكتابات الوطنية الاعتبار لهوية المغرب التاريخية،[٨] مقترحةً تقسيمًا بديلاً مناقضًا للتقسيم الكولونيالي، يقوم أساسًا على مفهوم "الاتصال" بدل "الانفصال"، ويظهر فيه المجال السياسي المغربي "كخط متصل، يمتد من الدولة إلى القبيلة- مع ما يعنيه ذلك من اندماج وانسجام تامين بين مكونات هذا المجال".[٩] غير أن الصعوبة التي تواجه الباحث في موضوع المخزن، كلما حاول مقاربة مضامين مفهوم المخزن، وخاض في سبر أغواره وتحديد كنهه، هو تنوع المقاربات والأطروحات التي نسجت حول الموضوع، واختلافها بل وتضاربها في بعض الأحيان، وذلك راجع لاختلاف وتنوع المشارب المعرفية، إذ شكل موضوع المخزن محورًا تقاطعت عنده، اهتمامات المؤرخ باهتمامات السوسيولوجي والأنثروبولوجي وكذلك عالم السياسة، كما أن ذلك راجع أيضًا، إلى اختلاف المنطلقات الإيديولوجية لأصحابها.

إلا أن محاولة تركيبية لما جاء في مختلف المصادر التي تناولت الموضوع بطريقة أو بأخرى – استنادًا إلى التوجهات الراهنة في البحث التاريخي، التي تحث على ضرورة انفتاح التاريخ على مختلف العلوم الاجتماعية- قد يفضي إلى نتائج مرضية. و"مادام أن سبر أغوار مضامين مفهوم المخزن ينبغي أن ينطلق من تصورات تلك المضامين في أذهان السلاطين، كان الاعتماد على ما أورده الإخباريون الرسميون عن ممارسات السلاطين في مختلف المجالات والأصعدة ضروريًا على الرغم من تركيزهم على الأحداث السياسية والعسكرية وإغفالهم للوقائع الاقتصادية والاجتماعية والإدارية".[١٠]

فماذا يعني المخزن إذن؟ وما السياق التاريخي الذي رافق بروزه وتبلوره مغربًا؟ **وما أبرز الصور الراسخة في المتخيل الجمعي عن المخزن؟** وما الثابت والمتحول في خصائصه ووظائفه؟ **وما القاسم المشترك بين مختلف المقاربات التي عالجت الموضوع؟**

أولاً: مفهوم المخزن، السياق والدلالات

يثير الحديث عن المخزن كمفهوم بالضرورة الحديث عن سياق بروز هذا المصطلح وظروف تبلوره، وذلك راجع لكونه اتخذ في البداية تحديدًا بديهيًا، خاصة على المستوى المعجمي،[١١] لينطلق بعد ذلك نحو اتخاذ حمولات ودلالات معقدة ومتشابكة خصوصًا في القاموس السياسي المغربي.[١٢]

١/١- السياق التاريخي للمفهوم:

وهكذا كلما ابتعدنا عن "دائرة اللغة تتبدى التغيرات والاختلافات على صعيد زمن وولادة المخزن، حقيقته وطبيعته ووظائفه، ثم كيفيات انتقاله من المعنى اللغوي الدال على تيمة المكان بتخزين الضرائب إلى مجموع أجهزة الحكم".[١٣] وقد أفضى الجدل النظري القائم حول ماهية المخزن وكنهه إلى بروز آراء متباينة. ويعتبر العصر الوسيط، كما بين ذلك مجموعة من الباحثين، الفترة التي ظهر فيها مفهوم المخزن لأول مرة، خاصة عند الأغالبة (٨٠٠-٩٠٩م)، "غير أن المخزن في تلك المرحلة لم يكن سوى الخزين الذي كانت تحفظ فيه الأموال المجباة مؤقتا قبل إرسالها إلى الخزينة المركزية في بغداد".[١٤]

وشكل "ارتخاء و تراجع تبعية إيالات شمال إفريقيا لمركز الخلافة في بغداد"،[١٥] منعطفًا أساسيًا في مسار هذا المفهوم، حيث أن هذه الفترة هي التي بدأ يترسخ فيها مصطلح المخزن في المغرب الأقصى. فكيف تبلور مفهوم المخزن و ترسخ؟ و متى حصل ذلك؟

تجدر الإشارة عند الحديث عن المخزن، إلى ملاحظتين رئيسيتين:

أولاهما: ضرورة التمييز بين المخزن في معناه اللغوي، الذي يشير إلى المكان الذي يتم فيه الخزن، والمشتق من فعل خَزن، كما يشير إلى ما كان يجمع في بيت المال من ضرائب وجبايات.[١٦] وبين المخزن كمصطلح، الذي يحمل دلالات متعددة ومركبة، "ويقدم في الواقع السياسي مرادفًا لمفاهيم الدولة والسلطة والنظام".[١٧]

أما **الملاحظة الثانية**، فتتمثل في إقرار معظم الباحثين والمهتمين بموضوع المخزن، على صعوبة التحديد الدقيق والحصر الكامل لإحداثيات هذا المصطلح، بحيث لم يتفقوا سوى على تعريفه اللغوي، أما معناه الاصطلاحي فقد حدده كل من وجهة نظر

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

تخصصه، ومحصلة تلك المقاربات والنقاشات، بروز أطروحات منها ما يتكامل ومنها ما يتعارض،[١٨] فمن تلك المقاربات ما حصر المخزن في وظيفة من وظائفه المتعددة، انطلاقًا من حمولة لغوية، رغم أن المفهوم يكثف دلالات متعددة من غير المنطقي اختزالها في توصيف محدد.[١٩] إلا أن هناك مَنْ تعامل مع المخزن بغض النظر عن وظائفه المتنوعة، ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ليضفي عليه صبغة دينية فاعتبر على سبيل المثال، أنه مفهوم يكثف معنى المؤسسة التي تستمد سلطاتها مباشرة من الله.[٢٠]

ومرة أخرى، فالاختلاف والتباين هما سمة النقاش الدائر بين الباحثين حول أصول نشوء وتشكل مفهوم المخزن، فمن قائل يقول؛ بأن عهد الدولة الموحدية هي الفترة التي أصبح فيها مصطلح المخزن متداولاً في الكتابات الرسمية وعلى الألسن[٢١] "وكان البيدق هو أول مَنْ استعمل الكلمة "عبيد المخزن" في كتابه "أخبار المهدي ابن تومرت وبداية الدولة الموحدية".[٢١] إلى قائل بأنه "ثمة شبه إجماع على أن مؤسسة المخزن أصبحت منذ العصر الحديث تدل على مجموع التنظيمات الإدارية"،[٢٢] غير أن هذا الباحث تساءل عن مدى ارتباط تدعيم هياكل المخزن بالصعوبات الداخلية والخارجية التي واجهتها البلاد، أم أن ذلك حال على العكس دون تعزيز تلك الهياكل؟ وأشار إلى الدور الذي اضطلعت به التجارة بالنسبة لمؤسسة المخزن، إلى الحد الذي يمكن، في نظره، اختزال ظهور تلك المؤسسة في عوامل لها علاقة بالتجارة، "بحيث أصبح المخزن يجسد سلطة سياسية تشرف على تنظيم النشاط التجاري، الذي نتج عن تحول شرايينه إلى المحيط الأطلنطي بفعل وصول العثمانيين إلى الجزائر"، كما أدى "الاحتكاك بالأتراك إلى اقتباس بعض المظاهر" التي ساهمت في تحديث هياكل المخزن".[٢٣]

وخلص إلى أن عهد السعديين وخاصة عهد أحمد المنصور، كما أكدت ذلك مجموعة من الدراسات، هي الفترة التي أصبح فيها المخزن يحمل دلالة دولة أو سلطة مركزية،[٢٤] وأرجع ذلك إلى الضغوطات الخارجية التي شهدها المغرب خلال هذه المرحلة، والتي ألقت بثقلها على المخزن، بما فيها التهديد العثماني واستحواذ الإيبيريين على السواحل، مما أدى إلى ظهور ما سماه "بالوحدة السياسية والاثنية داخل مجال ترابي، أصبح أكثر تمييزًا من منظور السلاطين والنخب الدينية والمتعلمة".[٢٥] وتجدر الإشارة هنا إلى؛ أن ظهور الوعي بوحدة الرقعة الترابية للمغرب، ناتج عن مخلفات القرن الخامس عشر ككل، بما فيها التحديات الخارجية السابقة الذكر، والتحولات الداخلية المرتبطة بانتشار الفوضى الاجتماعية وتنامي المد الصوفي، وكذلك الغياب التام للدولة، مما أدى إلى "تراجع دينامية المجال – وهو تراجع أدى إلى انحسار الفضاء الجغرافي للبلاد".[٢٦]

بالإضافة إلى الاتجاهين السابقين، ذهب اتجاه ثالث إلى اعتبار نهاية القرن التاسع عشر؛ الفترة التي أصبح فيها المخزن يعني السلطان وحكومته وإدارته، كما أن الاستعمال الرسمي لكلمة المخزن بدأ في القرن التاسع عشر،[٢٧] عكس الاتجاه الأول الذي أرجع التوظيف الرسمي لهذا المصطلح إلى عهد الدولة الموحدية، وهو الأمر الذي وصفه مجموعة من الباحثين، في حقل التاريخ على الخصوص، بقصور المقاربة السياسية للموضوع، وخلوها من الحس التاريخي.

وقد ربط عبد الله العروي ظهور أجهزة المخزن، بظهور الدولة بمفهومها العصري، بحيث أن كلمة المخزن كانت تطلق في المغرب على هيئة إدارية، و"المخزن كان سيفًا وقلمًا نما وتطور مع كل دولة وإمارة من الدول المتعاقبة على حكم المغرب، بما فيها الدولة الزيانية التي كانت أقل اتساعًا".[٢٨] وفي نفس الاتجاه الذي سار فيه عبد الله العروي، ذهب ميشو بيلير إلى القول بشيء من التفصيل؛ إن مصطلح المخزن مر من مراحل ثلاثة، الأولى استعمل فيها لنعت مستودع تخزن فيه الأموال الموجهة إلى بيت مال الأمة الإسلامية، و اقتصر في المرحلة الثانية على التعبير عن خزينة المغرب عندما استقلت مع الدول "البربرية"، ليتخذ دلالة إدارية في مرحلة ثالثة مع الدولتين الشريفتين السعدية و العلوية.[٢٩]

وتتجسد أيضًا صعوبة تحديد مفهوم المخزن، بسبب تداخله مع مفاهيم أخرى ذات طبيعة سياسية واجتماعية، فضلاً عن ارتباطه بمؤسسة يمكن أن تطلق عليها مسميات مختلفة، ليطفو على السطح إشكال المماثلة بينه وبين تلك المفاهيم، خصوصًا إذا علمنا أن الظروف المرافقة لنشأة المخزن، تختلف تمامًا عن الظروف المتحكمة في بروز المفاهيم الأخرى، كمفهوم "الدولة الحديثة"، على سبيل المثال.

غير أن ما أجمع عليه جل الباحثين الذين تناولوا موضوع المخزن؛ هو أن هذا الأخير، وإن كان يحمل في فترات معينة البعض من المواصفات والسمات التي وُسِمت بها الدول الحديثة، إلا أن ذلك لا يعني، في نظرهم، أن جهاز المخزن انسلخ عن تربته التقليدية وعانق سماء الدول الحديثة، مما أفضى إلى بروز جدل نظري حول طبيعة النظام السياسي المغربي من جديد، خصوصًا من جانب المؤرخين، الذي تحفظوا كثيرًا في إطلاق مصطلحات على المخزن، اعتبروا أنها لا تعبر عن محتواه، وأن إطلاقها مجازفة ستؤدي لا محالة، إلى إفراغه من محتواه، ونسف الخصوصية التي ميزت هذا النسق. فما حقيقة هذا الجدل وما مسبباته؟

٢/١- إشكالية المماثلة بين المخزن والدولة:

تميز الفكر الإسلامي القديم، بما فيه فكر ابن خلدون، بعدم وجود نظرية للدولة،[٣٠] لذلك فإشكال المصطلح لم يكن مطروحًا على مستوى المصادر التاريخية، لأن مصطلح الدولة كما وظفه الناصري في كتابه الاستقصا . على سبيل المثال . لم يكن يعني سوى فترة حكم معين، مرتبط بشخص السلطان، ورهين بحضوره، فهو يقوى بقوة السلطان ومدى تحكمه في الأمور، ويضعف وينحل بضعفه. كل هذا يسعفنا للتأكيد على أن مصطلح الدولة كما هو

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

متداول في الإسطوغرافية التقليدية، لم يكن يتجاوز المعنى البسيط للكلمة، انطلاقًا مما جاء في الآية الكريمة {وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}.(آل عمران: ١٤٠)

أما على المستوى النظري، وكما أكدت على ذلك مجموعة من الأبحاث، فمقاربة مفهوم المخزن، انطلاقًا من خلفيات معينة، رغبة في إصباغه بصبغة معينة، أمر فيه مجازفة كبيرة، بالنظر إلى ما يمثله ذلك من مخاطرة قد تؤدي إلى تشويه مضامينه وإفراغه من محتواه،[٣١] وكما أن مفهوم المخزن كان محل جدل في أوساط الدارسين، اكتست إشكالية مماثلته بمفهوم الدولة في شكلها الحديث، طابعًا جدليًا ومعقدًا، فطرحت تساؤلات عديدة في هذا الصدد؛ من قبيل هل مثل المخزن دولة؟[٣٢] وهل يشكل المخزن نسخة "أركيولوجية" عن الدولة، وأن الدولة نسخة حديثة ومنقحة عن المخزن؟.

لا شك أن بروز مفهوم الدولة في أوربا في العصر الحديث، قد تزامن مع تحديث هياكل المخزن، بيد أن "ترجمة مفهوم المخزن بمفهوم الدولة بالمعنى الحديث أمر في غاية المجازفة".[٣٣] على الرغم من أن وظائفه ووسائله توحي بوجود نظام له أسسه وقواعده ومنطقه الخاص الذي يعتبر السلطان نقطة رسوه، و هو الأمر الذي عبر عنه الطيب بياض حين قال بأن "الكشف عن القوى العميقة المفسرة لسلوك المخزن هي الكفيلة بالرد على من يرفضون وجود قانون منظم ويرون أن المسألة مزاجية تتحكم فيها رغبات السلطان وأهواؤه".[٣٤] وأكد أن التحديد الذي قدمه محمد صلاح الدين هو الأقرب إلى استيعاب عمق المخزن، الذي رأى أن "مفهوم المخزن يكثف في نفس الوقت معنى المؤسسة التي تستمد سلطاتها مباشرة من الله لكن يعني كذلك الملك والوزراء والسلطات المحلية، والمال، والقرض والسجن".[٣٥] وهو ما يسمح بالحديث عن شكل من الازدواجية "مخزن تقليدي بإدارة تحمل بعض مواصفات الدولة الحديثة".[٣٦]

هذه الازدواجية والتداخل هي ما اعتبره مجموعة من الدارسين، العقبة التي تجعل من الصعب "تشخيص دولة بمواصفات مثيلتها في أوربا العصر الحديث".[٣٧] فمن جهة، يتوفر المخزن على بينة خاصة لها نظامها وعقلانيتها وقانونها، ومن جهة، نجد ذلك التداخل فيما بين ما هو ديني وعسكري ومدني، وهو ما ذهب عبد الله العروي إلى إقراره. ومن جهة أخرى؛ اختلفت الظروف التي رافقت بروز الدولة الحديثة في أوربا، عن مثيلتها المتحكمة في ظهور المخزن، ففي الوقت الذي ارتبط فيه نمو الدولة بأوروبا ارتباطًا عضويًا بالطبقة الوسطى لم يكن المخزن يمثل مصالح طبقة معينة،[٣٨] فظل تاريخ المغرب مفتقدًا إلى ذلك المحرك الأساسي، أي البورجوازية، الذي قاد الدول الأوروبية نحو معانقة عوالم جديدة، والسير باتجاه التطور، الاقتصاد الميركانتيللي، والدولة القومية.[٣٩]

وإذا كان المخزن تبعًا لما سلف، لا يعكس محتوى الدولة في القاموس الأوربي الحديث، فإن بعض الدارسين، اعتبر أن استعارة عبارة "السلطة المركزية"، ملائمة أكثر "لمقاربة مفهوم المخزن في العصر الحديث".[٤٠] ويرجع ذلك الخلط بين مفهوم المخزن ومفهوم الدولة، حسب إبراهيم بوطالب، إلى "اختلاط مفهوم الدولة مع مفهوم وظيفتها الكبرى، التي هي جمع أموال الجماعة للحفاظ على أمنها في الداخل..."[٤١] وأكد أنه لا عجب في أن ينتهي أمر المخزن، الذي استقر في يد الشرفاء العلويين منذ ما يزيد عن ثلاثمائة وخمسين سنة، بخلط مطلق بين مفاهيم الدولة والمخزن.

للمخزن، إذن، جذور عريقة في التاريخ المغربي، فهو ظاهرة مستمرة في الزمن، استطاع –بفضل ديناميكية وتجدد آلياته . أن يقاوم مختلف الأخطار التي واجهته، وأن يتكيف مع مختلف الأوضاع المستجدة، على الرغم من هشاشته داخليًا، واسما بذلك تاريخ المغرب بخصوصية متفردة، فهو جهاز اكتسى، في مختلف تجلياته وأبعاده، سمات الأساطير التي تحاك حولها الحكايات وتضربُ بها الأمثال. فكيف كانت فئة العامة تتمثل المخزن؟، وما صورة حضور المخزن في المتخيل الشعبي؟

٣/١- المخزن وتمثلات المجتمع:

إذا كانت الاسطوغرافية التقليدية، قد اعتنت بالدرجة الأولى خاصة، بإبراز مواقف السلطة من الناس، دون أن تتطرق إلا في بعض الأحيان لموقف السكان من السلطة، كان من الصعب الإحاطة "بطبيعة الأفكار التي حملها الناس عن مؤسسة الحكم".[٤٢] إلا أن ذلك لا ينقص من قيمة الذهنية العامة باعتبارها مصدرًا هامًا لتحديد مضامين المخزن كمفهوم، فما طبيعة الأفكار التي حملها السكان تجاه مؤسسة المخزن، انطلاقًا من بعض المعلومات المشار إليها هنا وهناك في كتابات الإخباريين؟

إن أول استنتاج خلصنا إليه، في قراءتنا لنصوص المؤرخ الناصري، هو تجسيده لمؤسسة المخزن بكل هياكلها في شخص واحد هو السلطان، ومن هنا يمكن التأكيد، مع بعض الباحثين، على ذلك الرابط الجدلي بين المجتمع والسلطان، فبحضور هذا الأخير تتبدد كل الشكوك التي تخامر الصدور، وغيابه لأي سبب من الأسباب يفضي لا محالة إلى الارتباك وتزايد البلبلة في صفوف الناس، كما أن السلاطين أنفسهم يسارعون كلما تماثلوا للشفاء من أية وعكة صحية قد تصيبهم، إلى تفقد أحوال الرعية وتبديد تلك الشكوك فالطرفان إذن "كانا على وعي بأهمية ذلك الحضور في تحيين العلاقات بينهما".[٤٣] وباعتبار السلطان مركز الإشعاع، والثابت الرئيسي، والمحور الأساسي، الذي يدور في فلكه كل النظام المخزني، "فإن الصور التي أوردتها الاسطوغرافية عن نظرة الرعية للمخزن، لا يمكن فصلها عن نظرة الرعية للسلطان".[٤٤]

بالإضافة إلى هذه المكانة التي حظي بها السلطان، سواء في المخيلة العامة، أو في ذهنية المؤرخين الإخباريين، شكل الخوف وعدم الثقة أبرز مظهر لازم السكان في تعاملهم مع المخزن، ويجد هذا الخوف مبرره "في طغيان هاجس عدم الثقة لأن المخزن لا أمان فيه حسب تصور القبائل"،[٤٥] وذلك نابع من تعود الأطر

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

المخزنية على بث العداوة والبغضاء بين القبائل، مما يستوجب الحذر، وكان مما زاد من ترسخ هاجس الخوف لدى السكان، ما يلجأ إليه المخزن أثناء حركاته من استعراض لقوته العسكرية أمامهم،"مما يبث الرعب في النفوس".[٤٦] ومن أبرز ما كان السكان يتخوفون بشأنه من المخزن، هو إجراءات المصادرة التي كان يتخذها في حقهم، مما يجبرهم على إخفاء كل ممتلكاتهم في أماكن بعيدة إلى حين مرور الحركة. ولعل في المثل الشعبي المتداول بين الناس، والذي يفيد بأن لا خوف إلا من ثلاث: "المخزن"، و"العافية"،[٤٧] و"البحر"، ما يلخص الصورة المُتَمثَّلَة في أذهان العامة تجاه المخزن.

والغريب في أمر المخزن، هو أن هاجس الخوف وصوره لم تترسخ فقط في مخيلات العامة، بل امتدت لتشمل مواقف النخبة المخزنية من السلطان، بحيث أن كبار المقربين من المخزن يرتعدون خوفًا "كلما تم استدعاؤهم للمثول بين يدي السلطان حتى ولو تعلق الأمر بالتدابير الاعتيادية".[٤٨] مما يبرهن مرة أخرى على دور مؤسسة السلطان المحوري في النظام المخزني. فالسلطان هو صانع النخبة المخزنية، "يختارها ويرقيها ويراقبها، وينزع منها نفوذها وأموالها إذا اقتضت ذلك مصلحة البلاد دون أن يشكل ذلك أي صعوبة مصدرها الوزن الاجتماعي".[٤٩] فبنية خدام المخزن، لم تكن فئة متجانسة، بقدر ما كانت متنوعة الأصول، وعرضة للتغيير من عهد سلطان إلى آخر.[٥٠]

من جانب آخر، وعلى الرغم من توجيه هاجس الخوف لمواقف العامة من المخزن، فإن الإسطوغرافية التقليدية وفي طليعتها المؤرخ الناصري، تكشف عن "وجود حاجة ملحة إلى استمراريته تحت حكم السلاطين الأقوياء، باعتبار أن وجودهم يوفر الأمن ويحقق السكينة".[٥١] استنادا إلى قاعدة مفادها أن "الإمام الجائر خير من الفتنة"، وهو ما يؤكده قول الناصري في معرض حديثه عن وفاة السلطان المولى إسماعيل بنبرة ملؤها الحسرة على أيامه التي كانت "من الأمن والعافية وتمام الضبط حتى لم يبق لأهل الذعارة والفساد محل يأوون إليه ويعتصمون به ولم تقلهم أرض ولا أظلتهم سماء سائر أيامه".[٥٢]

وبالإضافة إلى التصورين السابقين للمخزن في ذواكر الناس، واللذين ارتبطا بطريقة أو بأخرى بالسلم والطمأنينة والخوف، تمخض أيضًا عن نظرة السكان للمخزن صور أخرى، من ضمنها "تلك المتعلقة بما يوفره العمل في دواليب أجهزته من هيبة وجاه، ترقى بأصحابها إلى مراتب عليا في المجتمع".[٥٣] ولئن كرس النفوذ، الذي استأثرت به الأطر المخزنية، صور الهيبة تلك، فإن المظهر الخارجي لأولئك الأطر الذي ميزهم من غيرهم شملته أيضا الهيبة، إذ لطالما كان زي أهل المخزن وطريقة عيشهم محلا للاستغراب والتعجب، فاللباس الرفيع ارتبط في ذهنية الناس بالانتماء إلى المخزن، كما أنه يصنف أهله بالإضافة إلى السكن الذي يقطنونه، في قمة التراتبية الاجتماعية.[٥٤]

٤/١- التغيير الخصائصي لمدلول المخزن:

تقعيدًا لما سبق، يمكن القول إن دراسات عدة اتخذت من فكر ابن خلدون أساسًا لتطعيم أطروحاتها، وتراوح مفهوم المخزن كما جاء عند ابن خلدون، بين كونه سلطان قبيلة أو زاوية، وفي الحالة الأولى، حسب عبد الله العروي، تغلب على المخزن خصائص القبيلة في تنظيماته وسياسته، كما كان الأمر زمن المرابطين والموحدين والمرينيين، وفي الحالة الثانية يتصف المخزن بصفات الزاوية كما الشأن عند الأدارسة والسعديين والدلائيين،[٥٥] وبالإضافة إلى تلك الصفات التي تميز بها المخزن زمن المرابطين والموحدين، غلب عليه أيضًا الطابع العسكري، فضلاً عن تسرب العنصر الأندلسي إلى دواليب الدولة.[٥٦]

وهكذا يتضح؛ أن المخزن في الحقبة الوسيطية، يتحدد من خلال ممارسة الوظائف الثلاثة: "الوزارة كمخطط"، و"الكتابة كَمُعِلن"، و"أصحاب الأعمال كمنفذين"، ويلخص عبد الله العروي هذه الوظائف الثلاثة في ثلاث جماعات؛ الأولى ضيقة جدًا، وهي المخططة والمسيرة فعليًا لسياسة البلاد على المستويين الداخلي والخارجي، وتنحصر في شخصين أو ثلاثة أحيانًا، وينبغي لمَنْ أراد الترشح لتلك المرتبة العالية، أن تتوفر فيه شروط معينة، وبينما تُعرِب المجموعة الثانية، المكونة من الكتاب، عن السياسة المرسومة، بترجمتها إلى لغة رسمية مضبوطة، كانت الجماعة الثالثة؛ وهي الأكثر اتساعًا من السابقتين، تقوم بتنفيذ الأوامر، وكانت مكونة من أصحاب الأشغال والأعمال،[٥٧] لكن مع مرور الأيام والسنوات، طرأت تحولات على مفهوم المخزن، ليصبح في نهاية القرن التاسع عشر يعني السلطان وحكومته وإدارته.[٥٨]

إن هذه التحولات، التي طرأت -من حيث الخصائص- على المخزن ومدلوله، أفضت بدورها إلى ذلك الاختلاف في المقاربات والاتجاهات حوله، اختلاف ناتج بالأساس عن تناول موضوع المخزن ككل وفق منهج تجزيئي، بدل المقاربة الشاملة والكلية للموضوع، باعتباره ظاهرة اجتماعية مهيكلة لتاريخ المغرب لفترة طويلة من الزمن. فإلى أي حد يُفيدنا كتاب الاستقصا- باعتباره مصدر رئيسي لتاريخ المغرب – في استخلاص بعض سمات مفهوم المخزن؟، أي بعبارة أخرى ما تمثلات وتصورات مفهوم المخزن في خطاب مُؤلِّف كتاب الاستقصا؟

ثانيًا: مفهوم المخزن من خلال كتاب الاستقصا*

تتسم منهجية المؤرخ الناصري في كتابة "تاريخ المغرب" بالجرأة والميل نحو استقلالية الرأي، فهو كما وصفه المستشرق الفرنسي ليفي بروفنصال؛ "يمثل في حركة التأليف التاريخي في المغرب ظاهرة جديدة"،[٥٩] وقد برهن هذا المؤرخ فعلاً، عن ذلك من خلال انخراطه في مناقشة بعض القضايا الحساسة، مما جر عليه بعض اللوم من طرف المخزن؛ مثل موقفه من تجربة الأمير عبد القادر الجزائري وعلاقته بالمخزن المغربي على عهد السلطان الحسن الأول، فتمسكه بالاضطلاع بدور الفقيه، القائم بمهمة الإصلاح، ومراقبة

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

السلطة السياسية، جعل علاقته بالمخزن الحسني تعرف نوعًا من التوتر. وإذا كانت طبيعة كتاب الاستقصا التقليدية، تعطي الانطباع منذ الوهلة الأولى بعدم جدوى مقاربة موضوع المخزن من خلاله، فإن المعلومات الواردة به والتي ركزت بالأساس على الأحداث السياسية، إضافة إلى كونه أول مصدر يعالج تاريخ المغرب بشكل شمولي منذ مجيء الإسلام إلى نهاية القرن التاسع عشر، فضلاً عن ما تميزت به كتابته من حس نقدي، كلها أمور تجعل الانطباع الأول يذوب أمام الرغبة في استخلاص بعض السمات والمحددات العامة حول هذا الموضوع، إيمانًا منا بأن المخزن هو ظاهرة اجتماعية مهيكلة لتاريخ المغرب، وتخترقه طولاً وعرضًا. فما الثوابت الرئيسية والقواسم المشتركة بين المخزن عبر تاريخ المغرب منذ الأدارسة إلى العلويين، كما هي بارزة في كتاب الاستقصا؟ وما المداخل الرئيسية لموضوع المخزن من خلال كتاب الاستقصا؟

١/٢- المخزن مجسدًا في مؤسسة السلطان:

تُعَدّ مؤسسة السلطان من أبرز مكونات ومرتكزات النظام المخزني منذ بداياته الأولى، بحيث نجد السلطان محورًا أساسيًا وثابتًا رئيسيًا داخل الجهاز المخزني، ويتمتع بسلطات متداخلة ومركبة، فهو إمام يسهر على حماية الشريعة الإسلامية، كما أنه قائد عسكري بالنسبة للجند.[٦٠] والمخزن في نظر عبد الله العروي يستمد شرعيته من وظيفة الإمامة، ويتجسد في شخص هو السلطان،[٦١] كما أنه في نظر الصدر الأعظم على عهد السلطان المولى عبد العزيز (١٨٩٤-١٩٠٨) (أحمد بن موسى المعروف بـ"باحماد")[٦٢] عبارة عن خيمة كبيرة عمودها الأساسي ودعامتها هو السلطان، وأوتادها التي تحيط بها هم رجال السلطة.[٦٣]

وما يلاحظ من تفشي الفوضى وانتشار الريبة والخوف عند العامة، حين يتعرض السلطان لوعكة صحية تمنعه من الظهور، خير دليل على المكانة التي يحظى بها داخل مؤسسة المخزن، و قد أورد الناصري ذلك، في الاستقصا، في عدة مناسبات، بل ووقف عنده بشكل مطول، "ولما أولت الاسطوغرافيا التقليدية عناية خاصة لتوظيف مادتها الإخبارية في إظهار عظمة السلطان دون أن تعير اهتمامًا لسمات المؤسسة التي جسدها"،[٦٤] فقد ركز الناصري، باعتباره أحد أعمدة الاسطوغرافيا التقليدية، في الاستقصا على مؤسسة السلطان، وأورد عدة عبارات عن المخزن في سياق الحديث عنها، مما يحق معه القول، إنه فعلاً جسد المخزن بدلالاته المتعددة في مؤسسة السلطان.

ولما كان الشغل الشاغل للمخزن المغربي؛ هو فرض الأمن والاستقرار وقمع الثورات والتمردات، ولما كان الجهاد من أبرز الأسس التي بنت عليها مختلف الدول المغربية شرعية قيامها، خصوصًا في العصر الوسيط، فقد أولت الكتابات الإخبارية عناية خاصة بهذا الجانب، وركزت على مسألة العلاقة بالآخر، ككائن أصبح يشكل تحديًا للدولة المغربية، ويهدد هويتها وثقافتها ووحدتها الترابية، لذا فقد نصب أغلب المؤرخين التقليديين أنفسهم مدافعين عن الهوية المحلية، ونجد الناصري في طليعة هؤلاء، بحيث كانت له مقالات في هذا الجانب.

كما أكد بعض الدارسين، على الدور المحوري الذي لعبه الاحتكاك بالأجنبي ومحاولات ربط العلاقات معه، وكون ذلك من أبرز العوامل التي ساهمت في تبلور المخزن وتطور هياكله، فمن جهة اعتُبِرت نهاية القرن التاسع عشر الفترة التي أصبح فيها المخزن يعني السلطان وحكومته،[٦٥] في حين ذهب بعض الباحثين،[٦٦] إلى أن مؤسسة المخزن أصبحت منذ العصر الحديث تدل على مجموع التنظيمات الإدارية التي تشكلت تدريجيًا، بفعل عاملين أساسيين:

أولاً: الضرورة الداخلية المتمثلة في حفظ الأمن وتحصيل الضرائب.

ثانيًا: التزامات السياسة الخارجية وما واكبها من تبادل المبعوثين.

ومن جهة أخرى؛ أكد على أن الاحتكاك بالأجانب أفضى إلى اقتباس بعض المظاهر التي ساهمت في تحديث هياكل المخزن وأجهزته.

٢/٢- الصراع حول السلطة ومسألة المشروعية السياسية:

شكل الصراع حول السلطة من بين العقبات الرئيسية التي واجهت المخزن المغربي منذ العصر الوسيط، سواء تعلق الأمر بالصراع بين أبناء السلطان بعد وفاة هذا الأخير، كما حدث بين أبناء أحمد المنصور السعدي، والمولى إسماعيل العلوي، بحيث "شكل تعدد الأمراء خطرًا دائمًا على مؤسسة المخزن"،[٦٧] أو حتى فيما يتعلق بتمردات وثورات بعض القبائل، وقد اعتُبِر هذا العنصر من أبرز مكامن الهشاشة في النظام المخزني، لذا فلا غرابة في أن نجد معظم الإخباريين الذين أرخوا للمخزن المغربي، يخصصون حيزًا هامًا من كتاباتهم للحديث عن هذه المسألة، سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو كان متضمنا في خطابهم، ونجد صاحب الإستقصا في مقدمة هؤلاء، ومن ذلك قوله متحدثًا عن دولة المولى إسماعيل العلوي: "... ولا نغص عليه دولته منغص سوى ثورة ابن محرز وابنه محمد العالم ومن سلك سنهم من القرابة".[٦٨]

وقد طفت مسألة المشروعية السياسية على السطح لكون "الانتقال السياسي من سلطان لآخر، ومن سلالة حاكمة لأخرى، أبرز عقبة اعترضت بناء قواعد مضبوطة للصيغ التي يتم بموجبها التعاقب على السلطة".[٦٩] وهذا الأمر هو ما جعل اكتساب الشرعية مرتبطًا بمدى قدرة الحاكم على فرض قوته وسيطرته، فكلما كان الحاكم قويًا واستطاعت سلطته أن تدافع عن شرعيتها، كان محل وحدة ولحمة، وكلما كان فاقدًا لتلك السلطة كان مجلبة للفرقة والاختلاف. فبقيت، إذن، السلطة مرتبطة بمدى القدرة على ممارسة القوة، مستفيدة من إجماع العلماء على أن الإمام الجائر خير من الفتنة، مما "فتح الباب أمام الورثة الشرعيين من أجل الإدلاء بدلوهم والبحث عن موطئ قدم لهم في معركة الخلافة بعد وفاة السلطان".[٧٠]

وفضلاً عن القوة، كانت للمشروعية الرمزية، المرتبطة بالبيعة، مكانة متميزة، باعتبارها من أهم الأسس والركائز التي يقوم عليها الحكم في تاريخ المغرب، ولعل أبرز ما يؤكد ذلك، ما أورده

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

الإخباريون من إشارات، تؤكد ارتباط استمرار الدولة بالاعتراف الرمزي بها، عن طريق البيعة، من طرف الأعيان والشرفاء والقضاة وقواد القبائل، أو مَنْ يُنعتون في أدبيات الإسطوغرافية التقليدية، بجماعة أهل الحل والعقد، وفي هذا الصدد يقول صاحب الاستقصا: "لما توفي أمير المؤمنين المولى إسماعيل رحمه الله... أجمع قواد العسكر البخاري وقواد الودايا وأعيان الدولة وقضاتها وكتابها وبايعوا أبا العباس أحمد بن إسماعيل المعروف بالذهبي لبسط يده بالعطاء... ثم تقدم عليه قواد القبائل والأمصار وأعيانها من أهل الحواضر والبوادي مبايعين ومؤدين الطاعة".[٧١]

غير أن مَنْ كان بيدهم منح المشروعية الرمزية، كانت معارضتهم للسلطة من بين الأسباب التي كانت تؤدي إلى خفوت الدولة وانحلالها، فقد أورد الناصري متحدثًا عن بيعة عبد الملك بن إسماعيل، قوله: "...وأمسك الله يده عن العطاء فلم يسمح للعسكر ولا للوفود بدرهم، فكان ذلك من أكبر الأسباب في اختلاف أمره وتفسخ دولته".[٧٢] ولعل في قضية عبد الواحد بن أحمد الونشريسي وموقفه من الصراع بين الوطاسيين والسعديين في القرن السادس عشر، أكبر دلالة على ذلك؛ إذ تتداول مصادر الفترة ما قيل لمحمد الشيخ السعدي، من أن "الناس لن يبايعوه إلا إذا بايعه ابن الونشريسي"، وهذا التركيز، من قبل المصادر، على الونشريسي، ليس له تأويل آخر غير كونه الوحيد الذي يمكن لموقفه أن يُتيمَّ شرعية حكم السعديين "فالرجل هو الذي حرر العقد الذي فتح لهم باب الشرعية في صلح أنماي".[٧٣]

٣/٢- المخزن كضامن للأمن والاستقرار:

يُعَدّ الأمن من بين الدلالات الأكثر شيوعًا لدى عامة الناس حول مفهوم المخزن، وفي هذا السياق، نجد صاحب الاستقصا، يَسِمُ المخزن على أنه المجسد الفعلي للأمن والضامن لتحققه، ومن دونه تحل الفوضى، خصوصًا حين يتعلق الأمر بالحديث عن التمردات، والثورات، فأبرز صورة لازمت خطاب هذا المؤرخ حول المخزن، كان يحكمها هاجس الأمن، وأبرز دليل على ذلك تكراره في العديد من المواقف المقولة التي مفادها، أن "الإمام الجائر خير من الفتنة"، وبالتالي فأمن الرعايا وسلامتهم من بطش المتمردين وانحرافاتهم، هي عند الناصري مسألة فوق كل اعتبار، لا يمكن تفاديها إلا بوجود سلطان قوي، يفرض هيبته على الكل، ويوحد الكلمة، حتى وإن كان ذلك بقوة الشوكة وصلابة القبضة، لذلك نجده يؤكد على أن "من محاسن الدولة الإسماعيلية تنقية المغرب من نجاسة الكفر ورد كيد العدو عنه...".[٧٤]

خاتمة

شكل مفهوم المخزن محل نقاش حاد في الخطاب الفكري والثقافي، وعلة ذلك كما أوضحنا في متون هذا العرض تتلخص في نقطتين أساسيتين؛ **الأولى:** بداهة تعريفه اللغوي مقابل تعقد حمولاته ودلالاته الاصطلاحية. **والثانية:** ذلك التداخل بين مضامينه ودلالاته من جهة، وبين وظائفه وأدواره من جهة ثانية. وقد أفرز هذا الوضع المشحون بنوع من الضبابية، مقاربات متعددة ومتباينة، بل ومتعارضة أحيانًا، وقد تحكم في هذا الاختلاف، بالإضافة إلى بعض الإيديولوجيات المحكومة بمنطق التحامل، اختلاف تخصصات الباحثين وتنوع مشاربهم المعرفية، وعدتهم المنهجية التي انطلقوا منها في تحديدهم ومقاربتهم للمفهوم. فكانت الأطروحة الاستعمارية، على المغالطات التي طبعت النتائج التي توصلت إليها، أول مَنْ خاض غمار البحث في هذا المجال، محاولة إظهار المغرب مشطورًا إلى شطرين؛ الأول ضيق لا تتعدى حدوده ضواحي المدن، والثاني واسع جدًا؛ تحتله قبائل سائبة لا تعترف بسلطة أحد، و"كان المنطق يحتم في ظل تحامل الأطروحة الاستعمارية، بروز تيار دفاعي دشنته أطروحة قانونية في تخصصها في أوائل عهد الاستقلال، وصفت من قبل العديد من الباحثين بأنها كانت مفعمة بالوطنية، وغارقة في الدفاع عن المخزن".[٧٥] لتتوالى بعد ذلك المقاربات، محاولة الوصول إلى تحديدات أكثر دقة، فقابلت بين مفهوم المخزن وغيره كمفهوم "الدولة" مما زاد من تعقد المفهوم، غير أن دراسات جادة اتخذت من تاريخ الذهنيات منطلقًا لأطروحاتها، وجسرًا ربطت به ذهنية وأفكار الممارسين للفعل المخزني (السلاطين) وبين أبحاثها، فتوصلت إلى نتائج أكثر موضوعية من غيرها.

فخلصت على سبيل المثال لا الحصر؛ إلى أن مفهوم المخزن يتضمن معاني كثيرة يصعب اختزالها في صفة معينة، وأن أي تحليل أحادي المنظور لن يفضي إلا إلى التعسف عليه وتشويه مضامينه، كما اعتبرت أن مقاربة مفهوم المخزن بهدف إضفاء صفة معينة عليه، أمر في غاية المجازفة.[٧٦] وإجمالاً؛ فإن مفهوم المخزن تضمن معاني ودلالات متعددة ومتنوعة، ويكشف معنى مؤسسة لها جذور عميقة في التاريخ المغربي، وهي ظاهرة مستمرة في الزمن لا يمكن الاقتصار في دراستها على مرحلة معينة من تاريخها مما يجعل التاريخ المقارن في هذا السياق مهمًا جدًا.

ومن جانب آخر؛ فإن دراسات أخرى اتخذت من تناولها لتاريخ المغرب في إطار علاقته بأوروبا، منطلقًا لتحديد هياكل وبنيات وتطور جهاز المخزن، كشفت عن جوانب مهمة من تطور المخزن المغربي، فركزت على مسألة التجاوز، كإطار حدد معالم العلاقة بين المغرب وأوروبا خلال العصر الحديث، من جهة، وربطت بين مسألة التجاوز،[٧٧] وطبيعة النظام المغربي (المخزن) العتيق والذي لم تتوفر فيه شروط الحداثة، مستدلة على ذلك بفشل كل المحاولات التحديثية التي قام بها بعض السلاطين (كأحمد المنصور ومحمد بن عبد الله).

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

الهَوامِشُ:

(١) محمد جادور، **مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب**، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، سلسلة أبحاث، الدار البيضاء،٢٠١١، ص ١٦.

(٢) عباس بوغالم "**الامتدادات المخزنية في المغرب الحديث**"، مجلة وجهة نظر، عدد (٣٨)، ٢٠٠٨، الدار البيضاء، ص١٧.

(٣) محمد جادور، **مؤسسة المخزن**... ، مرجع سابق، ص ١٦.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٧.

(٥) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) نشير إلى أن هذه النظرة تصدى لتفنيدها المؤرخ جرمان عياش، واصفا إياها "بالرؤية المتساهلة والساذجة، بلورت على يد مؤلفين فرنسيين في وقت كان مناسبًا لتوظيفها في خدمة أغراض فرنسا الاستعمارية"، جرمان عياش، "**الوظيفة التحكيمية للمخزن**"، ضمن: **دراسات في تاريخ المغرب**، تعريب محمد الأمين البزاز وعبد العزيز التمسماني خلوق، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الدار البيضاء، ص ١٤٥.

(٧) محمد حجاج، "**الزوايا، المجتمع والسلطة بالمغرب (مقاربة سوسيو-أنثروبولوجية)**"، مجلة فكر ونقد، عدد (٩٤)، يناير ٢٠٠٨، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ص ٥١.

(٨) محمد جادور، **مؤسسة**....، المرجع السابق، ص ١٧.

(٩) محمد حجاج، المرجع السابق، ص ٥١.

(١٠) محمد جادور، "**من ثوابت الحكم المخزني في تصور المولى إسماعيل**"، مجلة أمل، عدد (٣٣)، ٢٠٠٨، الدار البيضاء، ص ٤٦.

(١١) ورد في **معجم لسان العرب** لابن منظور أن المخزن مصدر ميمي لفعل خزن يخزن.

(١٢) محمد جادور، **مؤسسة المخزن**...، مرجع سابق، ص٣٨.

(١٣) هند الوالي عروب، "**المخزن ماهيته، جذوره، استمراريته**"، مجلة وجهة نظر، عدد (٣٨)، ٢٠٠٨، الدار البيضاء، ص٨.

(١٤) إبراهيم بوطالب، "**المخزن**" ضمن معلمة المغرب ج٢١، ٢٠٠٥، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط ص ٧٠٣٨.

(١٥) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(١٦) محمد أديب السلاوي، **السلطة: تحديات التغيير**، البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع، القنيطرة، ٢٠٠٢، ص ٣٠.

(١٧) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(١٨) هند الوالي عروب، المرجع السابق، ص ٨.

(١٩) محمد جادور، **مؤسسة المخزن**...، مرجع سابق، ص ٣٨٨ – ٣٨٩.

(20) Mohamed salahdine, *tribus, makhzen et colons*, essai d'histoire économique et sociale, ed, l'hahmattan, paris 1986. p 125.

(٢١) إبراهيم بوطالب، المرجع السابق، ص ٧٠٣٨.

(٢٢) المرجع نفسه، ص٣٨٥.

(٢٣) المرجع نفسه، ص ٣٨٦.

(٢٤) قيل وكتب الكثير عن كون المغرب، دخل إلى العصور الحديثة مع قيام دولة السعديين، وتحديدًا في عهد أحمد المنصور، إلا أن المآل الذي آلت إليه الأمور بعد وفاة هذا السلطان، يؤكد، حسب مجموعة من الباحثين، أن ما شهده المغرب من قوة آنئذ كان ظرفيًا، بحيث انهارت البلاد كبناء من ورق بمجرد وفاة المنصور، بسبب تطاحن الأمراء من بعده على السلطة، وتعاقب الأزمات البيولوجية.

(٢٥) محمد جادور، **مؤسسة المخزن**...، مرجع سابق، ص ٣٨٧.

(٢٦) محمد القبلي وآخرون، **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، ٢٠١١، ص. ١٥

(27) Rachida cherif, *le makhzen politique au Maroc hier et aujourd'hui*, Afrique orient, Casablanca, 1988, p.17

(٢٨) عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، الجزء الثاني، ١٩٩٤، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص ٢٠٩.

(٢٩) الطيب بياض، **المخزن والضريبة والاستعمار ضريبة الترتيب** (١٨٨٠ – ١٩١٥)، منشورات أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠١١، ص ٦٨.

(٣٠) محمد جادور، **مؤسسة المخزن**...، مرجع سابق، ص ٣٩٢.

(٣١) نفسه، ص ٣٨٨.

(٣٢) المرجع نفسه، ص٣٩١.

(٣٣) المرجع نفسه، ص٣٩٢.

(٣٤) الطيب بياض، "**مفهوم المخزن**"، مجلة أمل، عدد (٣٣)، ٢٠٠٨، الدار البيضاء، ص١٠٩.

(35) Mohamed Salahddine, Op.cit, p.125

(٣٦) الطيب بياض، مرجع سابق، ص ١١٠.

(٣٧) محمد جادور، **مؤسسة**...، مرجع سابق، ص ٣٩٣.

(٣٨) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٣٩) محمد حبيدة، "**أكادَ المغرب دخول العصور الحديثة**"، مجلة رباط الكتب الإلكترونية، عدد (١٤)، شتاء ٢٠١٤.

(٤٠) محمد جادور، **مؤسسة**...، مرجع سابق، ص ٣٩٤.

(٤١) إبراهيم بوطالب، مرجع سابق، ص ٧٠٤٠.

(٤٢) محمد جادور، **مؤسسة**...، مرجع سابق، ص ٣٩٦.

(٤٣) المرجع نفسه، ص ٣٩٧.

(٤٤) المرجع نفسه، ص ٣٩٧-٣٩٨.

(٤٥) المرجع نفسه، ص ٣٩٨.

(٤٦) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٤٧) "العافية" هي كلمة عاميَّة مغربية، تعني النار.

(٤٨) المرجع نفسه، ص ٤٠٠.

(٤٩) مصطفى الشابي، **النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم (٢٦)، ١٩٩١، الرباط، ص ١٧٥.

(٥٠) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٥١) محمد جادور، **مؤسسة**...، مرجع سابق، ص ٤٠٠.

(٥٢) أحمد بن خالد الناصري، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج٧، تحقيق محمد الناصري وجعفر الناصري، الطبعة الثانية، ١٩٩٧، دار الكتاب، الدار البيضاء، ص ٩٩.

(٥٣) المرجع نفسه، ص ٤٠١.

(٥٤) المرجع نفسه، ص ٤٠٢.

(٥٥) عبد الله العروي، **من ديوان السياسة**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٩، ص ٣٠.

(٥٦) الحسن أسكان، "**الدور التاريخي للمدرسة، في التعليم بالمغرب الوسيط**"، مجلة أمل، عدد مزدوج (٢٨-٢٩)، مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٣ البيضاء، ص ١٩.

(٥٧) عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**...، مرجع سابق، ص ٢٠٩ – ٢١٠.

(٥٨) تجدر الإشارة هنا؛ إلى أن الاستنتاج المتعلق بكون المخزن لم يصبح يعني السلطان وإدارته وحكومته إلا في القرن التاسع عشر، هو ما توصلت إليه

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

دراسات قاربت الموضوع من وجهة نظر العلوم السياسية، وهو ما اعتبره بعض الباحثين استنتاجا يفتقر إلى الحمولة التاريخية.

* أحمد بن خالد الناصري، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقق: محمد الناصري وجعفر الناصري، تسعة أجزاء، دار الكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧، الدار البيضاء.

(٥٩) ليفي بروفنصال، **مؤرخو الشرفاء**، ترجمة: عبد القادر الخلادي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٧، ص ٢٦١.

(٦٠) الطيب بياض، المرجع السابق، ص١٠٧.

(٦١) عبد الله العروي، **من ديوان السياسة**، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٦٢) هو أحمد بن موسى البخاري، **برز اسمه في الفترة الممتدة من سنة ١٨٩٤ إلى سنة ١٩٠٠**، التي تميزت بالوصاية التي فرضها على السلطان المولى عبد العزيز، تحكم خلالها في تسيير شؤون البلاد باسم السلطان الشاب. علي بنطالب، **المخزن والقبائل، الضغط الجبائي وتداعياته ١٨٩٤ . ١٩١٢**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، ٢٠١٣، ص ١٤٩.

(٦٣) محمد أديب السلاوي، **السلطة**...، مرجع سابق الذكر، ص ٣٣.

(٦٤) محمد جادور، "**بعض ثوابت الحكم**...."، مرجع سابق، ص ٤٦.

(65) Rachida cherifi, Op.cit..., p.17.

(٦٦) محمد جادور، **مؤسسة المخزن**...، مرجع سابق، ص٣٨٥.

(٦٧) المرجع نفسه، ص ٤٤٥.

(٦٨) أحمد بن خالد الناصري، **الإستقصا**، مصدر سابق، ص ٩٩.

(٦٩) محمد جادور، مرجع سابق، ص ٣٠٧.

(٧٠) المرجع نفسه، ص ٣٠٨.

(٧١) أحمد بن خالد الناصري، مصدر سابق، ص ١١٥.

(٧٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٧٣) عثمان المنصوري، "**تأملات في الأدوار السياسية لعلماء المغرب نماذج من الفترة الحديثة**"، ضمن: **السلطة والفقهاء والمجتمع في تاريخ المغرب**، الائتلاف والاختلاف، أعمال مهداة للأستاذ أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، ٢٠١٣، ص ١٨٥.

(٧٤) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(٧٥) أحمد التوفيق، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر: إنولتان نموذجا (١٨٥٠ . ١٩١٢)**، الطبعة الثانية، ١٩٨٣، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية (أطروحات ورسائل رقم ١)، الرباط، ص. ٤٦٧

(٧٦) نشير هنا إلى الدراسة المهمة والعميقة للباحث المغربي محمد جادور، حول المخزن المنصوري والمخزن الإسماعيلي، التي نشرت تحت عنوان **مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب**.

(٧٧) لمزيد من التفاصيل حول مسألة التجاوز في علاقة المغرب بأوروبا، راجع: عبد المجيد القدوري، **المغرب وأوربا ما بين القرنين ١٥- ١٨ (مسألة التجاوز)**، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. (صدرت مؤخرًا لنفس المؤلف طبعة جديدة، وصياغة جديدة باللغة الفرنسية).

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449